الفصل السابع

مع عمر التلمساني

- تربية الكتاكيت أم إعداد الأمة.
- بين الجباة والدعاة.
- من أخلاق الأستاذ عمر التلمساني.
- شلت يميني إن أنا وقعت.

(1)

تربية الكتاكيت أم إعداد أمة؟

يقول الأستاذ عمر التلمساني: (كانت صلتي بالإخوان المسلمين، وعلاقتي بالإمام الشهيد قصة ظريفة دلت بدايتها على منتهاها. أول ما اتخذت لي مكتباً في شبين القناطر، كنت أقيم في عزبة التلمساني، وفي يوم جمعة من أوائل العام (1933م)... كنت أجلس في حديقة الزهور فجاءني خفير العزبة يقول: فيه اتنين أفندية عايزين يقابلوك.

فصرفت حرمي وأولادي وأذنت لهما بالمجيء.. وجاء شابان أحدهما عزت محمد حسن وكان معاون سلخانة بشبين القناطر، والآخر محمد عبد العال، وكان ناظر محطة قطار الدلتا في محاجر أبي زعبل. ومضت فترة في الترحيب، وشرب القهوة، والشاي، وثمة فترة صمت قطعها معاون السلخانة قائلاً: ماذا تفعل هنا؟

فأثارني السؤال، واعتبرته تدخلاً فيما لا يعنيه، فقلت ساخراً: أربي كتاكيت!

ولم تؤثر إجابتي الساخرة على أعصابه، بل ظل كما هو موجهاً أسئلته قال: هناك شيء أهم من الكتاكيت في حاجة إلى التربية من أمثالك. قلت، وما زلت غير جاد في الإجابة: وما ذلك الشيء الذي هو في حاجة إلى تربيتي؟ قال: المسلمون الذين بعدوا عن دينهم، فتدهور سلطانهم، حتى في بلادهم، وأصبحوا لا شيء وسط الأمم.

قلت: وما شأني بذلك؟ هناك الحكومات والأزهر الشريف بعلمائه يتولون هذه المهمة. قال: إن الشعوب الإسلامية لا تكاد يُحَسُّ بوجودها. هل يرضيك أن تدعى هيئة كبار العلماء ليلة القدر من كل رمضان للإفطار إلى مائدة المندوب السامي البريطاني، وإلى جانب كل شيخ سيدة إنجليزية في أبهى زينتها؟ قلت: طبعاً لا يرضيني، ولكن ماذا أفعل؟ قال: إنك لست اليوم بمفردك، فهناك في القاهرة هيئة إسلامية شاملة اسمها (جماعة الإخوان المسلمين) ويرأسها مدرس ابتدائي اسمه (حسن البنا) وسوف نحدد لك موعداً لتقابله، وتتعرف إلى ما يدعو إليه، ويريد تحقيقه. شبت العاطفة الدينية الكامنة في دخيلة نفسي، فملت إلى الرضا ووافقت على مقابلة الرجل، وانصرفا بغير ما استقبلا به.

وعلمت منهما قبل أن ينصرفا أنهما يؤديان مهمة في كل يوم جمعة بعد صلاة الفجر، يجوبان القرى والعزب التابعة لمركز شبين القناطر يبحثان عن رجل يصلي، ويصوم، ويؤدي فرائضه، فيتعرفان إليه، ويعرضان عليه الدعوة فإن قبل، اعتبراه نواة لشعبة في موقعه. وكان في كل مركز من مراكز القطر من يقوم بمثل مهمتهما من الإخوان المسلمين. وبعد أيام حضرا إلى مكتبي وأخبراني بأنهما حددا لي موعداً مع فضيلة المرشد العام، وكان يسكن في حارة عبد الله بك في شارع اليكنية في حي الخيامية، وفي الموعد المحدد طرقت باب الرجل، وفتحت سُقاطة الباب، ودفعته، ودخلت إلى حوش المنزل، وصفقت فرد عليَّ صوت رجل يقول: من؟ قلت: عمر التلمساني المحامي من شبين القناطر. فنزل الرجل، وفتح باب غرفة على يمين الداخل من الباب الخارجي، ودخلتها من ورائه، وكانت مظلمة، لم أتبين ما فيها، ولما فتح النافذة الوحيدة في الحجرة

المطلة على الطريق تبينت أن في الغرفة مكتباً صغيراً غاية في التواضع، وبعض الكراسي من القش يعلوها شيء من التراب... وجلس إلى المكتب، وقدم لي كرسياً؛ لأجلس. وعز علي أن أجلس على مثل ذلك الكرسي بالبدلة الأنيقة، فأخرجت منديلاً من جيبي، وفرشته على الكرسي، لكي أستطيع الجلوس هادئاً في غير تضجر، ولا قلق. وكان ينظر إلى ما أفعله، وعلى فمه ابتسامة واهنة ظننتها تتعجب مما أفعل، ومما أدعى إليه. وشتان ما بين رجل يحافظ على أناقته، ورجل على وشك أن يدعى للعمل والجهاد في سبيل الله. وحق له أن يتعجب إذ أن مظهري كان يدل على الرفاهية التامة، وعدم تحمل مشاق العمل في سبيل الله، الأمر الذي يحتاج إلى الكثير من خشونة العيش مع عدم الانغماس في بلهنية الحياة، وشيء من التجرد.. ورغم هذا المظهر الذي لا يطمئن كثيراً، فقد مضى الرجل يتحدث عن الدعوة، وأن أول مطلب لها، وآخره هو المطالبة بتطبيق شرع الله، وتوعية الشعب، وتنبيهه إلى هذه الحقيقة التي لن يتحقق الخير إلا عن طريقها. ويكون التحول عن القوانين الوضعية إلى القوانين الإسلامية لا بد أن يأخذ طريقه المشروع دون عنف أو إرهاب. وأفاض فضيلة الإمام الشهيد (حسن البنا) في لقائنا الأول، في شرح أهداف الدعوة، ووسائلها المشروعة، وكان يتكلم في صدق المخلصين، وأسى المحزونين على ما يصيب المسلمين في كل أنحاء الأرض، والطعنة التي أصابت المسلمين بالقضاء على الخلافة. وأنه إذا كان بعض الخلفاء قد أساءوا أو انحرفوا، فليس معنى ذلك أن الخلافة هي التي أساءت أو انحرفت، وهذا الأمر لا يجهله إنسان منصف، فالنظرية شيء والتطبيق شيء آخر. ولما أنهى حديثه الذي لم أقاطعه فيه مرة سألني: هل اقتنعت؟ وقبل أن أجيب قال في حزم: لا تجب الآن، وأمامك أسبوع تراود نفسك فيه، فإني أدعوك في الأسبوع القادم للبيعة، وإن تحرجت فيكفيني منك أن تكون صديقاً للإخوان المسلمين. وما كان لمن جلس هذه الجلسة، وسمع ما سمعت أن يتوانى عن البيعة لحظة، وعدت في الموعد، وبايعت، وتوكلت على الله، وإنها لأكبر سعادة لاقيتها في حياتي أن أكون من الإخوان المسلمين منذ أكثر من نصف

قرن، وأن ألقى في سبيلها ما لقيت، مما أحتسبه عند الله، وأن يكون خالصاً لوجه الله تعالى. هذه قصة اتصالي بالإمام الشهيد (حسن البنا) والإخوان المسلمين. لم يعدنا إمامنا فيها بالدنيا وإقبالها، والأزاهير ونعومتها، ولكنه أوضح أن طريق الدعوة مليء بالأشواك والمتاعب، والصعاب، فمن يقبل يقبل عن بصيرة، ولا يلومن أحداً، فلم يخدعه أحد بالمرة. وهكذا لما قبلوا راضين، ألف الله بين قلوبهم أجمعين، حتى تعجب الناس جميعاً من قوة الروابط التي تربط بين قلوب الإخوان جميعاً؛ حتى قال قائلهم: لو عطس أحد الإخوان في الإسكندرية لشمته الذين في أسوان، وأقول: لو تمنى أحد الإخوان في أوروبا أمنية لحققها له أخ في كندا، ما دام في حيز الإمكان، وما دام الأمر لم يكن فيه ما يغضب الله[1].

بهذه الدعوة المعطاء.. التي هي صدى الدعوة الأولى.. وبأمثال حسن البنا.. وعمر التلمساني الذين استجابوا لله وللرسول يكون الاقتداء..

(2)

بين الجباة والدعاة

يقول الأستاذ عمر التلمساني:

«قابلت أحد رؤساء الوزارات المصرية - ولا يزال حيًّا - لعمل خاص بالإخوان في زمن السادات، وبعد أن تبادلنا الحديث، إذا به يعرج على الناحية المالية، ويفاجئني قائلاً بأن الدولة تدعم كل الصحف والمجلات المصرية، ومجلة الدعوة كمجلة إسلامية أحق المجلات بهذا الدعم، وأدركت ما يهدف إليه الرجل، فتمالكت أعصابي، وأجبته في لغة عامية دارجة: يا شيخ.. سايق عليك النبي ما تكلمنيش في هذه الناحية.. وانتهت المقابلة، وانصرفت.

◄ وذات مرة دعتني إحدى المجلات الدينية التي لا تزال تصدر حتى اليوم،

(1) ذكريات.. لا مذكرات، عمر التلمساني، ص: 36.

إلى ندوة دينية تعقد في دارها . . وحضرت وأثناء الحوار بالندوة ذهبت إلى دورة المياه، وعند خروجي وجدت أحد موظفي المجلة يقدم لي ورقة ويطلب مني التوقيع عليها. قلت: ما هذا؟ ولماذا؟ قال: هذا مقابل حضورك الندوة. قلت: لو كنت أعلم أن الدعوة إلى الله تدفعون لها مقابل لما حضرت، قال: مصاريف الركوب والانتقال. . قلت: عندي سيارة أعدها الإخوان لمثل هذه الأمور، قال: ولكنهم جميعاً يأخذون. قلت: إنني لست من هذا الجميع أنا رجل على باب الله، وانصرفت طبعاً دون قبض أو توقيع.

◄ ومرة كنت أؤدي فريضة الحج وفي (جدة) قابلني الأخ (م.ص)، وما يزال حيًّا وقال: إن كبيراً يريد مقابلتي ليس من الأسرة السعودية وإن كان له بها صلة، فرحبت مؤملاً في خير الدعوة، وتحدد الميعاد، وذهبت قبل الميعاد بخمس دقائق واستدعى الكبير سكرتيره، ودعاني للدخول، فوجدت أحد أبناء المرحوم الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود موجوداً معه، ولم يتحرك الرجل من مكانه؛ حتى وصلت إليه أمام كرسيه، فوقف، ولعله فعل ذلك محرجاً، وسلم وقد كنت ألبس شبشباً وجلباباً أبيض غير وجيه.

وجلس الكبير يتحدث عن الدعوة الإسلامية، ثم عرج على مجلة الدعوة، وكانت لم تصدر بعد وقال: إنه يريد تدعيمها، فأدركت هدفه، وقلت له مقاطعاً: سيادتكم طلبتم مقابلتي كداعية لا كجابٍ، ولو كنت أعلم أنك ستتحدث معي في مسألة نقود كنت اعتذرت عن المقابلة، ولذلك أرجو أن تسمح لي سيادتكم بالانصراف، فتلقى الرجل هذه الغضبة في هدوء، وقال: إني لم أقصد ما ذهبت إليه، ولكني كمسلم أردت تدعيم عمل إسلامي. ولما انتهت المقابلة خرج والكبير الآخر معي؛ حتى أوصلاني إلى باب المصعد، ولم ينصرفا إلا بعد أن أخذ المصعد في النزول.

◄ وأذكر كذلك مرة أنني ذهبت إلى أحد بلاد المنطقة العربية بمناسبة افتتاح موسم ثقافي، وبعد أن تحدثت في حوالي عشرة أمكنة جاءني أحد الرسميين، ومعه ظرف به خمسة وعشرون ألف درهم. فقلت له: ما هذا؟ وظن الرجل أنني

أستصغر المبلغ. فقال: إن غيرك يأخذ نصف هذا المبلغ. فقلت له: إنك في وادٍ وأنا في وادٍ آخر أنا لا آخذ أجر على كلمة ألقيها في سبيل الله، وإن كان لا بد من دفع هذا المبلغ فضعه في بنك من البنوك لحساب مجاهدي أفغانستان الأبرار.

◄ وطلبت بعض الصحف أن أكتب فيها متواصلاً بأجر، فرفضت. وسواء أكنت مصيباً أم مخطئاً، فإنه أفضل دائماً أن يكون كلام الدعاة بلا مقابل، فذلك أدعى لاحترامهم، وأدعى أن يكون الكلام يبتغى به وجه الله.

وصدق رسول الله ﷺ عندما قال ما معناه: «استغن عمن شئت تكن أميره».

وشتان بين الجباة والدعاة.

وبالدعاة الصادقين المجاهدين يكون الاقتداء.

(3)

من أخلاق الأستاذ عمر التلمساني

◄ دعي الأستاذ عمر التلمساني إلى ندوات ولقاءات بالشباب في السجن عام (1982م) نظمتها أجهزة الدولة. واتفقت معه هذه الأجهزة على تكرار هذه الندوات، وكانت لها مآرب، ولكن ما كان لله دام واتصل. فعرض الأستاذ المرشد الأمر على إخوانه، فكان المؤيد، وكان المعارض، وانتهى الأمر بالموافقة. فذهب الأستاذ عمر، وتحدث مع الشباب حوالي ساعتين على اختلاف اتجاهاتهم وانتهى اللقاء بأمر عجيب، فقد أقبل الشباب على فضيلة المرشد مصافحين، ومعانقين، ومقبلين الأيدي، وشاكرين النصيحة، وكشف الغشاوة. إنه توفيق الله. فقطعت الأجهزة هذه اللقاءات معه أبداً، لأن الرياح جاءت بما لا يرضي الملاح.

يقول الأستاذ عمر التلمساني: كان الإمام الشهيد يدعوني إلى السفر معه في بعض رحلاته داخل القطار ويسألني: هل السفر على حسابك أو على حسابنا؟

فإن كنت (متريشاً) من أتعاب قضية دسمة قلت: السفر على حسابي، وأقطع لهم تذاكر السفر في الدرجة الثانية. أما إذا كنت (مفرقع) الجيب قلت: السفر على حسابكم. فكان يقطع التذاكر في الدرجة الثالثة. فكنت أجلس، ورأسي إلى الأرض؛ حتى لا يراني أحد من معارفي، وأنا أركب الدرجة الثالثة، التي كنت آنف ركوبها، وكان الأستاذ يبتسم لمنظري الخجل. حتى إذا ما طالت عشرتي للإخوان أصبح ركوب الدرجة الثالثة عندي كركوب الأولى الممتازة دون حساسية أو تحرج.

يقول الأستاذ عمر التلمساني: ذهبت مع الإمام الشهيد يوماً إلى شبين الكوم في حفل إخواني، وبعد صلاة العشاء وجدت الإخوان يجلسون كما يجلس الناس في سماط. وجاء الطعام فإذا به بيض مقلي، وجبن قديم. فملت على أذنه قائلاً: هل جئت بي إلى هنا لتجوعني؟! فقال هامساً: اسكت الله يسترك. ونادى أخاً فأحضر لي لحماً مشوياً، وشيئاً من العنب.

◄ عندما أفرج عن الأستاذ عمر التلمساني في آخر يونيو (1971م) جاءه ضابط المعسكر وقال: لقد أفرج عنك... فاجمع حاجتك لتخرج، وكان الوقت بعد العشاء. فقال للضابط: ألا يمكن أن أبيت الليلة هنا، وأخرج صباحاً فإني قد نسيت طرقات القاهرة. فدهش الضابط وقال: ماذا تقول؟ ألم تضق بالسجن وتود الخروج منه فوراً؟ قال: بل أفضل أن أبيت هنا هذه الليلة، وأخرج صباحاً. قال: هذه مسؤولية لا أستطيع تحملها، تفضل اخرج من السجن، ونم على بابه إلى أي وقت تشاء، فطلبت تاكسي فأحضره. وعاد الأستاذ إلى منزله، يقول: والعجيب حقاً أنني عندما التقيت بأهلي وأقاربي لم أحس بتغير كبير في مشاعري، وكأني لم أفارقهم إلا بالأمس، ما السر في هذا؟ لست أدري!.

◄ وجه أحد المراسلين في لندن له سؤالاً: لماذا تتهرب من الإجابات عن أسئلة واضحة؟ فكان جوابه: إن التهرب ليس من خلقي، ولكن طباعي تأبى عليَّ أن أنقد حكومتي خارج وطني، ولا أشنع عليها في الخارج، بل أوجه مآخذي إليها مباشرة داخل مصر، وهو مبدأ وليس سياسة.

◄ في إحدى الندوات التي عقدها الصحفيون بدولة الإمارات مع الأستاذ عمر التلمساني عام 1982م بعد حملة الاعتقالات الساداتية، وجه إليه أحد الصحفيين هذا السؤال: ما رأيكم في حكام مصر، ومعاهدة كامب ديفيد؟ فأجاب الأستاذ: أحب أوجه نظر الأخ السائل إلى أنني لم آت هنا لأشتم حكامنا، ورأينا نعلنه بكل صراحة ووضوح أول ما نعلنه على صفحات الجرائد والمجلات المصرية. فقد تعلمنا من الإسلام الصراحة مع عفة اللسان، قال رسول الله ﷺ: **«ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء»**[1].

درس بليغ.. يحتاجه الدعاة في عملهم.

وبمثل هذه الأعمال.. وهذه الشخصيات يكون الاقتداء.

(4)

شلّت يميني إن أنا وقعت!

يتذكر الأستاذ محمد مهدي عاكف المرشد العام للإخوان المسلمين بعض المواقف التي حدثت معه في سجون جمال عبد الناصر فقال:

لما كنا في سجن (المحاريق) وكان لنا إخوة في سجن (ليمان طرة)، وعلمنا أن الحكومة قتلت منهم 22 رجلاً في الزنازين، وأرادوا أن يُعيدوا الكرة معنا في سجن (المحاريق)، فأرسلوا لنا ضابطاً اسمه إسماعيل همت؛ ليكرر المأساة من أجل تأييد جمال عبد الناصر.

ومن جبروت هذا الرجل الضابط أن جمعنا أنا والأساتذة: عمر التلمساني، وصلاح شادي، والعدوي، وصالح أبو رقيق، في غرفةٍ أو صالةٍ كبيرةٍ، ووجَّه إلينا مدفعاً وخيَّرنا بين تأييد عبد الناصر أو القتل.

---

(1) ذكريات.. لا مذكرات، عمر التلمساني.

وكان موقفاً صعباً برز فيه ثبات وصمود ورجولة الإخوان في الشدائد، فماذا كان رد الأستاذ عمر التلمساني رحمه الله؟.

قال: شُلَّت يدي إن أيدت عبد الناصر، وافعل ما بدا لك.

فتخاذل الضابط وتراجع.

رغم أنك كنت ترى الأستاذ عمر في ظاهره هيناً ليناً، لكنه في الحق قويٌّ مثل الفولاذ.

أمة بعضها من بعض!

تموت ولا تقبل بالدنية!

وبمثل هؤلاء.. ينبغي أن يقتدي الشباب.

obeikandi.com

obeikandl.com